Courrier du Savoir – N°01, Mai 2019, pp.14-22

مميزات المدن الصحراوية ودورها في تفعيل السياحة

د. بسعيد أسامة نبيل [1]، برحايل إيمان [2]

(1) (2) جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان

الملخص:

تزخر الجزائر بخصائص طبيعية ومعمارية فريدة من نوعها، باختلاف مناطقها الجغرافية، حيث نسعى في هذه الدراسة إلى التطرق لأهمية المدن الصحراوية ومميزاتها، التي تعبر عن حضارة عريقة تنوع ثقافي يساهم في استقطاب السياح من مختلف أنحاء العالم ما يساهم في تنشيط السياحة الصحراوية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الخصائص الطبيعية والمعمارية، المدن الصحراوية، التنوع الثقافي، السياحة الصحراوية.

Summary:

Algeria has unique natural and architectural features,

In this study, we seek to address the importance of desert cities and their benefits, which reflect the ancient civilization and cultural diversity that helps attract tourists from around the world, which contributes to the revitalization of desert tourism Algerian.

Keywords: natural and architectural features, desert cities, cultural diversity, desert tourism.

المقدمة:

أصبحت الثروة الحقيقة للدول والمجتمعات ليس بما تملكه من موارد مادية فقط بل بكنوزها البشرية والثقافية.

كما أن الصحراء الجزائرية تحظى بمقومات سياحية هائلة و مساحتها الشاسعة و تنوع خصائصها الطبيعية و الجغرافية و مناطقها، إضافة إلى الطابع البيئي المتميز لها، تزخر بالطابع الإنساني و الحضاري العريق ، و الذي يمثل قطب هام للجلب السياحي، لذلك يجب العمل على تثمينها و المحافظة عليها من خلال الاهتمام بالموروث الثقافي و المادي خاصة الجوانب المعمارية و الهندسية الفريدة و الأدوات المستعملة في ذلك، و التي تمثل القيم التاريخية السائدة في المنطقة، إضافة إلى عمليات التأهيل و التحسين المستمر لمختلف المرافق السياحية و خدماتها و جودتها و بالتالي زيادة مردوديتها، دون أن يكون لذلك تغييرات في أشكالها و طبيعتها وأن لا تؤدي إلى نتائج سلبية وأضرار على البيئة المحيطة.

وهذا بالاعتماد على إستراتيجية جديدة تهدف إلى وضع أليات فعالة وتقديم تحفيزات وتسهيلات وتوفير البيئة المناسبة والمشجعة على التنمية السياحية المستدامة، التي أصبحت توفر مناصب شغل عديدة وارتفاع الدخل الفردي والقومي، بالإضافة إلى العمل على تنشيط الصناعات التقليدية ما أدت إلى زيادة الإقبال عليها وضرورة الحفاظ عليها وتثمينها، وتنمية المدن الصحراوية السياحية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بالتفتح على ثقافات متنوعة واكتساب معارف عديدة الموجودة لدى السياح الوافدين من مختلف أنحاء العالم.

ومن خلاله نطرح الاشكالية التالية: ما هو دور تثمين المدن الصحراوية في تفعيل السياحة الصحراوية في الجزائر؟

أهمية الدراسة

الدور الهام الذي تلعبه تنمية المدن الصحراوية في جلب السياح وتفعيل عملية التنمية الاقتصادية وهذا وتوفير فرص العمل وزيادة الدخل.

-أهداف الدراسة:

- التعرف على مميزات المدن الصحراوية بالجزائر.
- التأكيد على السياحة الصحراوية كنموذج هام للسياحة.
- التركيز على دور تثمين المدن الصحراوية كألية لتفعيل السياحة الصحراوية.

منهج الدراسة:

ان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي نظرا لطبيعة الموضوع من خلال توضيح المفاهيم المتعلقة بالمدن الصحراوية، والاسلوب التحليلي لتوضيح وتفسير النتائج وتحليلها.

هيكل الدراسة: لمعالجة وتحليل هذه الإشكالية تم تقسيم المقال إلى ثلاث محاور أساسية وهي:

المحور الأول: العمران الصحراوي.

المحور الثاني: خصائص المدن الصحراوية ومميزاتها.

المحور الثالث: تثمين المدن الصحراوية كآلية لتفعيل السياحة الصحراوية – حالة بعض القصور-

1 العمران الصحراوي:

للعمران في الصحراء جذورا تاريخية عميقة، مظاهر الحضرية والتمدن كانت مألوفة في القصور والمدن التاريخية منذ مئات السنين، ازدهرت المدن التاريخية كمحطات للقوافل التجارية التي كان مسرحها الفسيح بين ضفتي البحر والصحراء منذ 10 قرون وجذور أصيلة من خلال ما يعرف بالقصور الصحراوية، والتي بنيت في الأساس على توافق بين ثلاثة عناصر رئيسية هي:

01- (الطين أو الحجر).

02- الماء (المياه الجوفية).

03- (المقدس، الضريح) الولي الصالح أو الزاوية.

يتمركز العمران عادة في كتل رئيسية تتفرع إلى مراكز صغيرة مشكلة شبكة محلية من القصور المرتبطة بعالم الفلاحة (النخيل) وآبار المياه أو الفقارات. بالإضافة إلى علاقة هذه القصور بعالم القبلية وأنصاف البدو الذي لعب دورا عاما في عمرانية ونشاطات هذه المدن والقصور من خلال التبادل الاقتصادي والتكامل الاجتماعي والحماية المتبادلة، كما تتميز هذه القصور بأنسجة بنائية تشمل العناصر التالية: المساجد، المنازل، الساحات، الشوارع، القلعة أو البرج، الأسواق، الدكاكين، وورشات الصناعة التقليدية.

تموقعت في مجملها على مناطق مرتفعة حسب ما تسمح به طبوغرافية المنطقة، تأخذ الشكل الدائري في معظمها، عند قراءة هيكلتها نحس أن أولوية مخططها كانت مسألة الدفاع بسبب الصراعات سواء في شقها السياسي والإثني أو حتى المتعلقة بعملية الإنتاج الزراعي. (1)

1.1 تعريف القصور ونبذة عن نشأتها:

القصر وجمعه قصور ksar ou ksour وبالبربرية أغرم أو إغرم هي قرية محصنة اقتصر وجودها على منطقة شمال إفريقيا وهي تضم مخازن ومساكن والمسجد... الخ وهي في الأغلب مبنية على هضبة منيعة من هجمات البدو تجاورها واحات النخيل وعلى ذكر المخازن هناك قصور عبارة عن مخازن. كما أن لها تسمية أخرى تطلق في المغرب ونقصد بها القصبة.

تعتبر أول مسكن ثابت أقامه الإنسان الصياد بالصحراء تلك التي خصصها للأموات حيث يلجأ إليها الأحياء ولاستحضار الأموات ومع مرور الوقت تحولت هذه الأماكن الدينية إلى تجمعات بشرية.

ويذكر ابن خلدون في الغرض من إنشاء مدينة بالصحراء أن الإنسان احتاج لحماية نفسه من ظروف الجو القاسية واختار موضع في مكان هواءه جيد ونقي، ويرى Masqueray سببا آخر وهو إنشاء هذه المدن على قمم الهضبات وعلى نهاية المنحدرات لتتشمس جيدا في الشتاء وتحتمي من الرياح وفيضانات الأودية وكذا الهجمات.

وهكذا بدأت النواة الأولى لنشأة التجمعات السكنية بالصحراء إلى أن وصلت إلى شكلها النهائي المسمى "القصر". (2)

2.1 تخطيط القصور:

الحديث عن تخطيط القصور يدعونا إلى الإشارة إلى عدة عناصر تحكمت في تحديد معالم هذه القصور ومن أهمها نذكر ما يلي:

- ظروف نشأة القصر: والمقصود هنا الجانب الأمني والنشاط العلمي والتجاري.

- الإثنيات المشكلة لسكان القصر: العرب البربر اليهود العبيد...الخ
- التنظيم الاجتماعي للقصر: القبيلة الطائفة... الخ
- البنية الجيولوجية للمنطقة.

بالنسبة لتخطيط القصور فنجد أن المسجد يتوسط القصر ويتخذ أعلى نقطة فيه، بعد تحديد مكان المسجد تحدد رقعة المدينة بتخطيط أسوارها وبتحديد مجال التوسع مع العلم أن الأسوار في القديم كانت في الغالب مؤلفة من ظهور المنازل لا تفتح أبوابها إلا إلى الداخل. (3)

تتوزع المنازل بين السور والمسجد متلاصقة ومتماسكة وبارتفاع مدروس يراعى فيه الحق في التهوية والتشمس، تتخلل هذه المساكن أزقة ضيقة ذات مقاس 3 أذرع ما يكفي لتلاقي دابتين محملتين كما روعي في تخطيطها مقاومة الرياح والتقليل من إشعاع الشمس أيام الحر وكذا الاعتدال في انحدارها كما يمكن أن نجدها مسقفه في بعض أجزائها، كما أن هناك شوارع أوسع من غيرها مزودة بمقاعد مبنية كانت في القديم أسواقا في المدينة. (4)

بالنسبة لساحات السوق فقد تباينت القصور فيما بينها حيث نجدها في منطقة مزاب دوما خارج الأسوار فيما نجدها في أخرى قريبة من المسجد وداخل الأسوار مثل ما هو الحال داخل ورقلة ومليكة.

زودت الأسوار بأبواب ترتبط بطرقه الرئيسية وتربطه بمختلف المجالات الخارجية مثل المقبرة الواحة طرق السفر ...الخ وقد نجد في كثير من القصور أن عدد هذه الأبواب لا يتعدى الاثنين.

3.1 سهل وادي مزاب أنموذجا:

يضم وادي مزاب خمسة قصور تاريخية تنبض بالحياة مع واحاتها الممتدة على طول مجرى الوادي إضافة إلى العديد من القصور المندثرة التي لم يبقى منها إلا بعض الأطلال، وكم هائل من المعالم التاريخية المندثرة عبر القصور والواحات وما حولها.

وترتب هذه القصور حسب تاريخ تأسيسها كالتالي: العطف، بنورة، غرداية، بني يزقن، مليكة. (5)

4.1 أنواع العمائر والمنشآت:

أ) القصور:

حافظت قصور وادي مزاب منذ تأسيسها بداية من القرن الحادي عشر الميلادي على نفس النمط المعماري عبر قرون من الزمن حيث استطاعت أن تستجيب إلى حد بعيد إلى منظومة المجتمع الفكري وإطاره الطبيعي، إضافة إلى خضوع المجتمع في إنتاجه المعماري إلى هياكل تشريع وتسريع (أمناء العرش) , هذا ما أدى إلى استجابة المعمار التاريخي لحاجيات السكان ببساطة دون تعقيد أو إخلال بالضرورة (المسجد , المسكن , السوق , المصلى , منزل الواحة).

يتكون كل قصر من مجموعة بنايات متلاصقة تكون نسيجا عمرانيا متناسقا، أين يحتل المسجد أعلى قمة القصر معلنا عن قدسيته ودوره القيادي.

تمتاز العمارة التراثية في وادي مزاب بالتأقلم مع المناخ الصحراوي الحار والجاف صيفا والبارد شتاء، بفضل الاستغلال الأمثل لمواد البناء المحلية، والتوجيه المناسب للبنايات للاستفادة من أشعة الشمس والتهوية. (6)

يحيط السور بالقصر ويمثل بذلك واجهة دفاعية مقطوعة بمداخل رئيسية ومرافق مهيأة بأبراج المراقبة.

تعتبر ساحة السوق الفضاء الرئيسي للتبادلات الاقتصادية بين داخل وخارج القصر، وهو المكان العمومي الثاني بعد المسجد. وتعتبر ساحة للتبادلات، أين يتم الانسجام الاجتماعي وطرح قضايا المجتمع والأوضاع السائدة. وخارج الأسوار تنبسط الواحات على طول مجرى الوادي من الضفّتين. (7)

تستغل الأراضي الصالحة للزراعة، بواسطة نظام تقليدي للري فريد من نوعه فيما يخص تقسيم مياه السيل.

وتشتمل الواحات على بعض أبراج المراقبة والحراسة والمصليات الصغيرة. وعلى طول المرتفعات المشرفة على وادي مزاب تنتشر أبراج المراقبة التي تعمل بالتنسيق مع النظام الدفاعي للقصور والواحات.

ثم تأتي المقابر لتشمل مساحات شاسعة كأنها مدنا للأموات تبنى بداخلها مصليات على شكل ساحات مكشوفة في الهواء الطلق أحيانا وأحيانا مغطاة بأسقف على غرار مساجد القصور لكن من غير مئذنة، تستغل لصلاة الجنازة وتلاوة القرآن والتعليم الشرعي. (8)

ب) المنشآت الدينية:

-المساجد:

يعتبر المسجد أول ما يختط في القصور الصحراوية والمدينة الإسلامية عموما، ويراعى في مساجد الصحراء خاصة منطقة بني مزاب التقشف والابتعاد عن كل ما قد يشغل المصلين عن الخشوع، إلى جانب خلو المحاريب هي الأخرى من الزخارف.

في بداية الأمر كانت عبارة عن بيت صلاة ومئذنة فقط من دون صحن أو مرافق أخرى ويأخذ شكل مخططها الشكل المنحرف، والجزء الأوسط من بيت الصلاة هذا غير مسقوف.

مساجد القصر، مساجد الواحة، المصليات الجنائزية. وتتمثل أهمية هذه المنشآت في بساطة أشكالها فعلى خلاف المساجد في العالم الإسلامي التي تبرز في النسيج العمراني للمدينة بشكلها وحجمها وزخارفها، فإن مساجد مزاب متكاملة مع النسيج العمراني للقصر الموجودة فيه دون أن تخل بهذا النسيج، كما أنها بنيت على مقياس الإنسان أثناء حركاته في الصلاة دون إفراط ولا تفريط. (9)

-مصليات المقابر:

أنشأت هذه المصليات لغرض اجتماعات العزابة والابتعاد عن العامة، شاع هذا النوع بمنطقة سهل وادي مزاب ولنا عدة أمثلة كمصلى سيدي ابراهيم بالعطف ومصلى عمي سعيد بغرداية فمثلا لدينا مصلى عمي سعيد مؤلف من قسمين قاعة للاجتماعات وقاعة للصلاة أسفلها، وكلا من القاعتين تتصل فيما بينهما برواق وفي جزء منه محفور بالصخر.

قاعة الصلاة تقترب من الشكل المربع سقفها محمول على أقواس غير منتظمة محمولة على دعامات، وهي مزودة بمحراب في جدار القبلة، أما التغطية فبقباب مفلطحة محمولة على دعامات مرتبطة تسمح بمرور شخص واقف، والقاعة بها فتحات للإنارة. (10)

-الأضرحة:

هي مدفن لرجل صالح أو إنسان له مكانة وليس بالضرورة أن يكون هناك قبر داخله وتميزت الأضرحة في منطقة توات على سبيل المثال بالقبة المخروطية وهي منتشرة بمجمل قصور توات وتيكورارين وتيديكلت.

فمثلا ضريح سيدي بايوسف بن محمد بن موسى (رجل صالح من القرن 7ه)، لا يوجد به قبر يقع في مكان مرتفع، مؤلف من عدة أقسام إلى جانب الجزء السطحي أين يجتمع الأعيان عند الزيارة وربه مصلى مزود بمحراب مجوف عرضة0.93م ويتصل بالضريح عبر باب بمغرفة التابوت الخشبي ذات شكل مستطيل مزودة بفتحات للتهوية والإنارة. (11)

ت) المنشآت الدفاعية:

تميزت العمارة الصحراوية باستغلال جيد للبنية الجيولوجية للمنطقة لتوظيفها في الشق الدفاعي فجاءت العديد منها على قمم هضبات محصنة لا يمكن الوصول إليها، لكل قصر نظام دفاعي يتميز به، فبداية من الأبواب التي أعطيت لها أهمية دفاعية كبيرة حيث تعد منفذا لأهم شوارع القصر، زيادة إلى ذلك نجد الأسوار كسور بني يزقن مثلا المعروف والذي يعتبر أول ما صنف من معالم مزاب، تميزت الأسوار بوجود نوعين منها فهناك نوع اعتمد على ظهور المساكن بحد ذاتها في التحصين ونوع ثاني من الأسوار منفصلة عن البيوت حيث تفصل بينها وبين البيوت مساحة معتبرة وهذه الأسوار تكون على ارتفاع معتبر ومزودة بمجموعة من المزاغل التي تسمح بالمراقبة والرماية في الزوايا الضيقة، إضافة إلى أبراج المراقبة المتتالية على محيط القصور وفي الواحات بما في ذلك الأبواب وفي مجموعها تشكل مع مئذنة القصر نظاما دفاعيا محكما، حيث نجد نوعان من الأبراج النوع الأول نجده يتخلل السور وظيفتها دفاعية والثانية خارجه على امتداد الواحة والوظيفة المنوطة لها هي مراقبة فيضانات الأودية .(12)

ث) ساحات السوق:

تميزت أغلب القصور بوجود سوق واحدة ظلت خارج حدود المدينة لزمن طويل لأسباب متعلقة بالأمن والدين على حد سواء، وعلى مر القرون وتزايد عدد السكان اضطرت القصور إلى التوسع أكثر من مرة كما هو الشأن في قصر بني يزقن مثلا بمنطقة وادي مزاب، حيث يوجد فيها شوارع أكثر عرضا من غيرها مزودة بمقاعد كانت فيما مضى أسواقا، أما السوق الحالية فقد زادت مساحتها وتطورت وظيفتها الاجتماعية حيث أن كانت مكان لتبادل المنتجات وبيعها وأصبح أيضا مكانا عموميا بعد المسجد الذي يمكن لأهل البلدة أن يجتمعوا فيه ويتبادلون الأخبار. (13)

أسواق القصور الصحراوية ليس لها شكل ثابت ومنتظم، تتراوح بين المثلث والمستطيل وغير المنتظم، وتفتح على ساحة السوق أبواب الدكاكين المحيطة به، وتحتوي هذه الأخيرة على طابقين يكون الطابق العلوي مخزنا، والطابق الأرضي مجالا للبيع والشراء.

تنتشر على طول واجهات السوق مقاعد مجهزة على شكل مسطبات مخصصة لمجالس العشائر. (14)

ج) هيكلة المسكن ومكوناته:

يخضع تخطيط المسكن في وادي مزاب لأسس وضوابط وذلك من حيث اعتماده في هيكلته على فضاء يتوسطه حيث يلعب هذا الأخير دورا مهما في التهوية والإضاءة، إلا أن للمسكن خصوصيات تميزه عن غيره وذلك ناتج عن تفاعله مع محيطه الطبيعي (الجغرافي والمناخي)، إضافة إلى أن له انعكاسا لفكر المجتمع ونمط حياته لجعل هذا الأخير يتأقلم مع المناخ الصحراوي الشديد الحرارة. (15)

كانت المساكن تعتمد على طابقين، أحدهما أرضي لا يتصل بالفضاء الخارجي إلا من خلال المدخل وفتحة أفقية تتوسط فناء الدار حيث تظهر الطوابق الأرضية كأنها مبنية تحت الأرض، مما يوفر لها حرارة معتدلة، أما الطابق العلوي فمساحته غالبا لا تتعدى المساحة التي تستعمل كسطح والذي له أهمية في فصل الصيف وخاصة في الليل حيث ينزل الهواء البارد الذي يحد من حرارة الشمس خلال النهار وتشترك كل المساكن مهما كان حجمها فهي عناصر أساسية تختلف في مقاييسها اختلاف طفيفا بين مسكن وآخر وتتوزع هذه العناصر بين الطابقين الأرضي والعلوي ونادرا الطابق السفلي، وتشمل هذه العناصر(العتبة، السقيفة، رواق المدخل، المطبخ، غرفة الاستقبال للرجال وأخرى للنساء، وسط الدار، الغرف...الخ).(16)

2 خصائص المدن الصحراوية ومميزاتها

1.2 خصائص المدن الصحراوية (17)

أ) الماء والعمران في الصحراء

ارتبط العمران البشري بالماء. فلم تقم مدينة إلا بوجود نبع جار أو حافة نهر أو بحر، أو مياه جوفية. وقد أبدع الإنسان في البحث عن هذه المياه وإيصالها إلى مكان إقامته عند الضرورة. وهكذا فقد نشأ نظام الفقارات بصحراء الجزائر أو الأفلاج بالجزيرة العربية وبلاد فارس، ذلك العمل الهندسي الدقيق الذي يسمح بنقل المياه من أماكن بعيدة من تحت وجه الأرض إلى المراكز العمرانية.

فقد كان انحدار تلك القنوات الجوفية يصمم ببراعة تراعي سرعة المياه وتدفقها المتوازن نحو البساتين والمدن. فيما كان خفاؤها تحت أديم الأرض يحميها من التبخر من جهة ويضمن لها النظافة والبرودة من جهة أخرى. أما توزيع المياه فقد كان يتم عن طريق قسمة كسرية لا تزال تشهد على تفاعل الحساب بالهندسة في أذهان أهل تلك الحرفة. فقد كان نظام الميراث الدافع الأساسي لتطور هذه التقنية، حيث كانت الحصص المائية تتبع قسمة الأراضي وتخضع لمختلف المعاملات المالية مثل البيع والشراء والهبة والتبادل والتجزيء. وقد نشأت تقنيات التوزيع عبر سنوات وقرون من التجارب حيث استعملت فيها آلات قياس ذات دوائر مختلفة الأقطار التي تسمح بتحقيق الحصص والمقاييس وفق الفرائض الشرعية. وبالإضافة إلى الإبداع الهندسي فقد كان لهذا النظام جانبا جماليا إضافيا. فقد كان خرير المياه الذي يمر عبر السواقي ومن خلال الفقارات يربط سكان المدينة بالطبيعة ويمزجها بأصوات الكائنات الحية الأخرى مثل الدواب والطيور والرياح والأذان. أما وجود الفقارات في المدينة مثلما هو حال مدينة أدرار فقد كان يزيّن الشوارع بأحجام مخروطية فريدة تشبه فقرات العمود الفقري للكائنات الحية، وهو بذلك مدرسة من مدارس فن المناظر الخارجية أو لاندسكايب.

ب) التلاصق والتجاور

لعل أصعب ما في الصحراء هو حرارتها وأشعة شمسها الحارقة، التي تدفع بالإنسان إلى البحث عن سبيل لاتقائها وتقليل وطأتها. فالحرارة العالية والجفاف، والرياح المحملة بالرمال كانت دوما مصدر إبداع لأساليب الاحتماء بمدن الصحراء، ودافعا للاجتهاد في سبيل تحقيق الرفاهية وظروف العيش. أمام هذه الحاجة إلى الحماية والأمن والرفاهية فقد لجأت مجتمعات الصحراء إلى بناء مدن حصينة وكثيفة عرفت باسم القصور. فقد كانت تلك المدن تحاط بالأسوار المنيعة والبوابات المحكمة، كما كان يختار لها الأماكن المرتفعة استجابة لمطلب المراقبة الدائمة والإطلال على المحيط الخارجي.

ت) الجدران المشتركة ونوازل البناء

لقد كان للتجاور والتلاصق أثره في ضبط العلاقات بين الجيران، لكنه كذلك مصدر نزاعات وأقضية متجددة. وقد كان ذلك مصدر كتب النوازل التي تستعرض مختلف المسائل التي تثيرها الواقعات التي تحدث بين الجيران والشركاء. فإذا كان الإسلام قد شجع هذا التجاور والتلاصق كما يبينه حديث أبي هريرة "لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره" فقد كان حق الملكية الفردية ونفي الضرر يقدم الجزء الآخر من تلك المسائل. فالاشتراك في الجدران كثيرا ما يخفض من تكاليف البناء ويدفع إلى العمل المشترك ويقلص المساحات المستهلكة البناء، لكنه كذلك كان يفتح الباب أمام تسرب المياه وزيادة الحمولات وأخطار الاهتزازات وغيرها من أسباب النزاع.

ث) تقنيات التبريد:

كثيرا ما يكتنف جو الصحراء الزوابع الرملية والرياح العاتية المحملة بالأتربة مما يدفع الإنسان للاستعداد دوما للاحتماء والانطواء. إن هذا ما يحدث كذلك في المدينة والسكن. فالبناء الصحراوي يكون في الغالب مغلقا على الخارج ومفتوحا على نفسه حيث تتوسطه ساحة تسمى بالحوش أو وسط الدار. فهذا الفراغ المركزي يقوم بدور الوسيط المناخي حيث يقوم بتعديل الحرارة الخارجية ويضمن اللياقة الحرارية المنشودة. وبحضور هذا الفناء الداخلي، يستغني البيت عن

الانفتاح نحو الخارج حيث تكون الفتحات منعدمة أو صغيرة جدا تقوم بدور الإضاءة الثانوية أو تحريك الهواء عند الضرورة.

ج) الهندسة العضوية

تقدم لنا الصور الجوية مناظر متميزة عن أشكال المدن الصحراوية. فهي بعكس المدن المخططة تخضع لهندسة عضوية تتناسق تناسقا كليا مع شكل الموقع وتضاريسه. فكثيرا ما تكون تلك الأشكال ديناميكية وانسيابية تتناغم مع منحنيات الأرض. ومما يزيدها ارتباطا بها مواد بنائها وألوانها الترابية التي تجعل منها امتدادا طبيعيا للتراب.

إن المدن الصحراوية كثيرا ما تكون نتيجة تراكم البناءات عبر السنين والقرون ونتيجة الأعمال الفردية المتعاقبة. فخلال تلك المدة الطويلة يكون كل ساكن قد فكر في الطريقة المثلى لبناء مسكنه وقام بتوسيعه بطريقة تدريجية بطيئة ومتأنية تمليها إمكاناته المادية من جهة وحاجاته المتتالية

للتوسع وفق نمو الأسرة والاستجابة لظروف موقعه داخل المدينة. وهكذا نجد المدينة كلها عبارة عن جسم عضوي متكامل ومتراكم جاء نتيجة الاستهلاك التدريجي والعقلاني للفراغ. ومن العجيب ان نجد من يدعي بأن هذه التطور العمراني عفوي وغير منظم لافتقاده للهندسة. في حين أن الهندسة التي يبحث عنها مثل الشارع المستقيم والزوايا القائمة ما هي في الواقع إلا نتيجة للتفكير البشري التجريدي المختزل للواقع والمتجاوز لعامل الزمن والنضوج الطبيعي

2.2 دور القوانين والتشريعات في حماية التراث المعماري بالمدينة القديمة: (18)

تزخر المدينة القديمة بالعديد من الخصائص التي أعطتها شخصية فريدة و متميزة و من ثم يجب المحافظة عليها و تطويرها، ذلك لأنها لا تزال تقدم الكثير من الوظائف ذات الأهمية البالغة كالوظيفة التجارية و الحرفية و الدينية و السياحية و غيرها، زيادة على أنها تحتوي على عدة معالم ذات قيمة فنية لها دلالتها التاريخية و الحضارية و التي تشكل في كثير من الأحيان مواقع سياحية للعديد من الفئات عبر العالم و بذلك تبرز أهميتها الثقافية و الاقتصادية، حيث تعتبر بعض المواقع داخل المدينة القديمة من الرموز الوطنية فهي تحدد الهوية و الانتماء التاريخي للمجتمع و بالنظر إلى أهمية العمران القديم الذي يعتبر جزءا من ماضي المجتمع و هويته بما يحتويه من مرافق و منشآت تعكس مدى تطور هذا المجتمع عبر مراحله التاريخية، فقد عملت الدولة الجزائرية على حماية هذا العمران من خلال سياسات خاصة تسعى دوما إلى توفير الراحة و الأمان لساكني المدن القديمة و بذلك فقد أصدرت قوانين للحماية كما أحدثت هيئات مكلفة بالإشراف على تطبيق هذه القوانين.

فعلى المستوى الدولي: فإن الجزائر قد كانت سباقة بالانضمام إلى منظمة اليونيسكو الدولية وأليسكو العربية وهي من بين المنظمات التي تولي أهمية كبيرة للمحافظة على الإرث الحضري، حيث كانت الجزائر تسعى دوما إلى توفير الوسائل الحديثة والمتطورة من أجل حماية التراث المعماري رغم أن الاستفادة التقنية والعلمية فيما يخص الأدوات المستحدثة في مجال المحافظة والترميم تبقى غير كافية.

على المستوى الوطني:

مديريات الثقافة: تخضع المواقع الأثرية للتصنيف بقرار من الوزير المكلف عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية و وفقا للإجراءات المنصوص عليها في المواد) 18(-17 -16من القانون 04-98حيث يعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، و تعتبر الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة التي يمتلكها خواص قابلة للتنازل، و تحتفظ هذه الممتلكات الثقافية العقارية المصنفة بنتائج التصنيف أيا كانت الجهة التي تنقل إليها و لا ينشأ أي ارتفاق بواسطة اتفاقية على أي ممتلك ثقافي مصنف دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة،)المادة 16من القانون (04-98و من ثم فإن وزارة الثقافة هي المكلفة نيابة عن وزارة الوصية بحماية و تسيير و المحافظة على المعالم الأثرية.

الدائرة الأثرية: تقوم الدائرة الأثرية بتفويض من الوالي بإجراء جرد أولي للمعالم الأثرية لمدة 10سنوات، وهذا من أجل حماية وتسيير والمحافظة على المعالم الأثرية والتاريخية.

البلديات: وهي تعد إحدى الأطراف الأساسية المشرفة على تطبيق قوانين الحماية وتسيير الممتلكات الأثرية وذلك من خلال مخططي التهيئة والتعمير) PDAUو (POSحسب القانون / 29 90المؤرخ في / (1990 12/ 01حيث تعمل البلدية على حماية الارتفاقات والأماكن الأثرية بجميع أنواعها.

الجمعيات: لقد منح القانون الجزائري / 04 98من خلال المادة 91الحق للجمعيات بأن تسعى لحماية ورعاية التراث الثقافي والمعماري حيث " يمكن لكل جمعية تأسست قانونا وتنص في قانونها الأساسي على حماية الممتلكات الثقافية تنصب نفسها خصما مدعما بالحق المدني فيما يخص مخالفات أحكام القانون"

- كما أن عمليات تهيئة المدينة القديمة انطلاقا من القوانين المعمول بها تتضمن عملية تهيئة المدينة القديمة التدخل على مستوى النسيج الحضري القائم وكذلك الجيوب العمرانية الناتجة عن تهديم البنايات، ومن ثم يستدعي الأمر وضع وسائل قانونية تسمح باحترام قوانين التعمير والعمران، حيث يعتبر القانون 04-98المؤرخ في 15جوان 1998المتعلق بحماية التراث الثقافي الوسيلة الأكثر نجاعة في هذا المجال على: (19)

- التسجيل في القائمة الإضافية، التصنيف ومحيط المحافظة، وبالتالي فقد تم جرد كل الممتلكات الموجودة بالمدينة القديمة والعمل على تسجيلها في قائمة الجرد الإضافي على مستوى الولاية في انتظار تصنيفها كتراث وطني، وهو ما يجعل من تدخل الدولة أمر قانوني وواجب. وقد تم تطبيق مجموعة من الآليات لتهيئة المدينة القديمة منها:

- تهيئة النسيج الحضري القائم: وهو يعتمد على تطبيق الوسائل والتقنيات الحضرية داخل المجال الحضري من أجل تحسين وتنظيم وظائفه وتطويره حاضرا ومستقبلا، ومن ذلك يمكن إجراء مجموعة من الإصلاحات داخل

النسيج الحضري القائم للمدينة القديمة حسب عمليات التهيئة بالاعتماد على المرسوم رقم 684-83و الذي يحدد شروط عملية التدخل في المساحة الحضرية الموجودة.

- عملية التهذيب: وهي تتمثل في إحداث بعض الإصلاحات على بعض البنايات كإصلاح السلالم والسقوف وطلاء الواجهات وغيرها وذلك بهدف توفير الراحة والأمان وتحقيق الرفاهية للسكان، وتتضمن عملية التهذيب في المدينة القديمة على بعض العمليات الخفيفة كتوفير الشبكات الضرورية وتخصيص حنفية ودورة مياه خاصة لكل مسكن.

عملية الترميم: وهي عملية تسمح بإصلاح مجموعة من المباني ذات القيمة التاريخية أو المعمارية دون المساس بأحكام القانون 04-98المؤرخ في 15جوان 1998و المتعلق بحماية التراث الثقافي، وقد بلغ نسبة البنايات التي تحتاج إلى ترميم بالمدينة القديمة 77.29%

عملية إعادة التنظيم: وهي تهدف إلى تحسين وضعية المجال وتنظيمه على مستوى جميع مكوناته من سكن وتجهيزات والبنى التحتية ومختلف الوظائف والنشاطات.

عملية إعادة الهيكلة: وهي التدخل على مستوى الطرق ومختلف الشبكات التقنية الأخرى وتوقيع تجهيزات جديدة وكذلك قد تشمل هذه العملية تهديم جزئي لبعض الحصص وتغيير وظيفتها.

3 المدن الصحراوية كآلية لتفعيل السياحة الصحراوية – حالة ولاية بشار-

1.3 أهم المدن السياحية بالولاية: (20)

- **منطقة بشار:**

بشار عاصمة الجنوب ولؤلؤة الصحراء والبوابة الغربية للجنوب الجزائري، تمثل أهم تجمع سكاني بالمنطقة، جاذبيتها تكمن في واحاتها الجميلة التي تدعوك للانطلاق في رحلة ممتعة تكتشف من خلالها ثقافة وحضارة أصيلة متخفية في قصريها " قصر بشار، قصر واكدة "، ومغارة عنتر العجيبة وكذا مناظرها الخلابة والمتنوعة، وقد اشتهرت المدينة بصناعة الجلود والمجوهرات وإنتاج التمور والخضروات والتين والحبوب واللوز بالضواحي، ويوجد بها كذلك الترفاس وهو نوع من أنواع الفطر يسقى بأمطار شهر سبتمبر وأوت، ويتم قطفه ابتداء من شهر فيفري، وفيها ثمة طرق خاصة للشاي الذي سمونه "التاي"، الذي يعد على الحطب، كما يوجد بالقرب من بشار مرسل الموجات الطويلة بالقنادسة ويمثل أطول مبنى في الجزائر.

- **منطقة القنادسة:**

تقع دائرة القنادسة غرب الولاية على بعد حوالي 25 كلم تقريبا، وهي الآن مربوطة بطريق سريع مع الولاية تم إنشاؤه سنة2009، كما أنها تعد أول مدينة توهج فيها المصباح منذ اكتشاف الفحم فيها من طرف المستعمر الفرنسي، وأهم معالمها الأثرية: القصر القديم الذي يحمل أروع نسق معماري تلاقت فيه العمارة المشرقية، المغربية والإفريقية، والزاوية الدينية لعبت دورا ثقافيا، علميا واجتماعيا جعلها قبلة لطلاب العلم والمعرفة، كما أنها محاطة برمال ذهبية وواحات خضراء تبعث للزائر راحة نفسية، كما للمنطقة عادات وتقاليد متجدرة في أعماق التاريخ، وهي تحي سنويا عدة مهرجانات وأعياد دينية كالمولد النبوي الشريف.

- **تاغيت:**

"لؤلؤة الساورة" هي قطعة مترامية الأطراف على الرمال الذهبية وهي منطقة سياحية توجد على بعد 95كلم جنوب بشار، وهي تزخر بمقومات سياحية تجمع بين التاريخ والفن والطبيعة نذكر منها:

- القصور (الزاوية التحتانية، بختي، بربي، بريكة، الزاوية الفوقانية وتاغيت وغيرها) المتجمعة في ديكور ذي جمال خلاب تجدب الزائر لاكتشاف خفايا الطبيعة.
- "قمة هومش الرملية" التي يزيد ارتفاعها عن 732م، التي تستعمل في رياضة التزحلق على الرمال
- الكهوف الموجودة في قصر "سيدي عياش" بالزاوية التحتانية (وجد عليه نقوش صخرية لحيوانات، وطيور عاشت مع الإنسان قبل التاريخ).
- واحات النخيل التي تحتوي على 90000 نخلة بأنواع تمرها التي يقام لها موسم سنوي يسمى "موسم تاغيت"، في شهر أكتوبر من كل سنة.
- "الأخوة عمروش" الذي بتواجد به نقوش الصخرية لحيوانات وطيور يعود تاريخها إلى أكثر من 12 ألف سنة.
- "دايت الطيور" وهي بحيرة تتواجد بها الطيور المهاجرة.
- "منطقة ممسوخ" بها أثار لغابات متحجرة تدل على تواجد غابات كثيفة بالمنطقة.

تحتل تاغيت مكانة تاريخية وسياحية مرموقة في الأوساط الوطنية والعالمية، ولا ننسى حسن ضيافة وكرم سكانها.

- **بني عباس:**

تقع على بعد 240 كلم جنوب بشار، هي واحة ناصعة البياض، تتشكل من 100000 نخلة على شكل عقرب فاتنة بأزقتها الملتوية اللغز الطبيعي الذي أبهر السواح حيث يتوسطها القصر القديم المصنف ضمن التراث الوطني وقريباً الدوليو الذي تم ترميمه مؤخرًا والمسجد العتيق، ونخيلها تنتج ما يعرف "بتمور الحميرة" ذات المذاق الجميل والشهرة عند سكان المنطقة، بها أعلى كتبان رملية في الجزائر يؤهلها بأن تكون فضاء لممارسة التزحلق والتداوي بالردم، وكذا نقوش لحيوانات متنوعة وأثار لرسومات قديمة بمنطقة مرحومة التي تقع على بعد 50 كلم من بني عباس وأيضا حيوانات متحجرة تتصادف بها على بعد 30 كلم من الطريق الوطني رقم 06 كدلالة على أن المنطقة عاشت فترة من التاريخ تواجدت بها هذه الحيوانات، وأخرى مهددة بالانقراض كالغزلان وبعض الطيور، وما جعلها مشهورة وطنيا وعالميا هو الاحتفال "بالمولد النبوي الشريف" الذي تحييه المنطقة كل سنة (21).

جدول 01: المعالم السياحية والأثرية بمنطقة بشار.

البلديات	المعالم السياحية											
	رمال	واحات نخيل	قصور قديمة	زوايا دينية	سدود صغيرة	سد كبير	رسوم حضرية	حمامات تقليدية	مغارات	متحف	قبور قديمة
بشار	X	X	X								
بني ونيف	X	X	X								
لحمر		X	X								
موالك		X	X								
بوكايس		X	X								
القنادسة	X	X	X	X	X	X	X		X		
مرجوجة						X			X		
تاغيت	X	X	X				X				
العبادلة					X						
عرق فراج					X						
تبلبالة	X	X	X								X
إقلي	X	X	X						X		
بني عباس	X	X	X							X	
تامترت	X	X	X								
الواتة	X	X	X								
كرزاز	X	X	X	X							
بني يطاف	X	X	X								
تعودي	X	X	X					X			
أولاد خضير	X	X	X								
القصابي	X	X	X								

المصدر: أونيس فاطمة الزهراء، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب، دراسة حالة ولاية بشار أنموذجاً، جامعة وهران 2 كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير، مذكرة للحصول على شهادة ماجستير في العلوم التجارية، السنة: 2016/2015، ص92.

جدول 02: إحصائيات توافد السياح على المؤسسات الفندقية بولاية بشار حسب الثلاثيات 2014.

الثلاثي	جزائريون		الأجانب	
	وصول	ليالي	وصول	ليالي
الثلاثي الأول	10600	16948	443	1412
الثلاثي الثاني	9880	15332	370	1633
الثلاثي الثالث	8296	10509	254	1312
الثلاثي الرابع	13503	18058	324	1322
المجموع	42279	60847	1382	5481

المصدر: أونيس فاطمة الزهراء، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب، دراسة حالة ولاية بشار أنموذجاً، جامعة وهران 2 كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير، مذكرة للحصول على شهادة ماجستير في العلوم التجارية، السنة: 2016/2015، ص97

الخاتمة

إن الخصائص العمرانية للمدينة الصحراوية تعتبر جد مهمة في جلب السياح كما أنها لها عدة أبعاد اجتماعية وثقافية وتاريخية لذلك يجب العمل على تثمينه والمحافظة عليه والتعريف به وادخال الوسائل الحديثة كتكنولوجيا الاعلام والاتصال في ذلك من أجل تطوير الجانب المعماري المهم في تشكيل المدن الصحراوية، ما ينعكس ايجابا على طابعها الجمالي والسياحي، خاصة في التطورات التي يعرفها العالم اليوم ومظاهر العولمة.

- من أهم التوصيات:
- العمل على ترميم وصيانة المدن والقصور الصحراوية.
- استعمال المواد الطبيعية الاصلية.
- الحفاظ على الجانب المعماري والبيئي للمدينة.
- تثمين المدن الصحراوية باعتبارها موروث ثقافي وحضاري ثمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1-جابر مليكة، تنمية العمران الصحراوي وأثره على الخصوصية الثقافية (دراسة تحليلية لعمران مدينة ورقلة عبر التاريخ)، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية-تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، ص 17.

2-خلف الله بوجمعة، العمران والمدينة، دار الهدى عين مليلة،2005م، ص 84.

3- Claude Pavard, Lumière du M'Zab, Edition déboise .paris, France, p120

4-مصطفى ابراهيم رمضان حول خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، مكتبة نزهة الألباب حي بابا السعد، غرداية، ص55.
5-إبراهيم محمد طلاي المدن السبع في وادي مزاب جمعية التراث لبني يزقن، غرداية، ص125.
6-حسن الوزاني، وصف إفريقيا،ترجمة محمد الحاجي ومحمد الأخضر،ج2،دار العرب الإسلامي،بيروت،1983،ص177.
7-بن يوسف بن بكير الحج سعيد،تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية،ط02، المطبعة العربية11، نهج طالبي أحمد غرداية،2006م، ص70.
8- Pierre roffo.Controlabilité. à l'étude de la préhistoire du Sahara septrional ancienne imprimerie, Alger 1934.p98.
9- Marth et Edmond couvions, Kharidjsme, Memographie du M'Zab imprimerie marocain vigie, Casablanca, paris, p69.
10- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته،دليل ولاية غرداية، 32 شارع فلسطين،غرداية ، الجزائر، جانفي2006، ص 18.
11-ولاية غرداية،واقع الاستثمار السياحي في ولاية غرداية وآفاق تطويره_تقديم ولاية غرداية، ص12.
12-ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب،32شارع فلسطين، غرداية، الجزائر، جانفي 2006، ص 10.
13-ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، التراث المادي والغير المادي لولاية غرداية، ص 10.
14-ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، دليل المواقع والمعالم التاريخية لولاية غرداية، 2012، ص12.
15- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العمارة الترابية، دليل مختصر للعمارة الترابية بوادي مزاب،2010، ص 21.
16-ديوان حماية وادي مزاب وترقيته المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحلي لسهل وادي مزاب، ص19.
17- مصطفى بن حموش الإبداع العمراني في مدن الصحراء، قراءات أدبية وغرافيكية، دراسات Volume 3, Numéro 1, Pages 191-202، سنة2014، ص196، 202
18- نجاة قناطي، حنان بوناب، الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية القصر القديم بمدينة الأغواط، العدد22، سنة2015، ص42/41.
19-نفس المرجع، ص42.
20- أونيس فاطمة الزهراء، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب، دراسة حالة ولاية بشار أنموذجاً جامعة وهـــــران 2 كلية العلـــوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير، مذكـــــــــرة للحصول على شهـــــــادة ماجستير في العلوم التجـــــــارية، الســــــــنة: 2016/2015، ص90
21- أونيس فاطمة الزهراء، نفس المرجع، ص97.